التعريف والنقد

كتاب الغصون اليانعة

في محاسن شعراء المائة السابعة

تحقيق الأستاذ ابراهيم الابياري

طبع دار المعارف بمصر (١٧٦) صفحة

وهذا كتاب آخر لابن سعيد المغربيّ ، صاحب كتاب « المغرب » ، يرى النور بعد ما لبث في ظلمات الخزائن قروناً عدة ، على يد خِرِّيت ماهر ، خبير بخبايا الدفاتر ، هو الأستاذ ابراهيم الأبياري . وصلة الأستاذ الأبياري بالمغرب قديمة ، وعلاقته بالمغاربة قدماء ومحدثين وطيدة ، فكثير من طلبتنا درس عليه واقتبس من علمه ، وكثير من آثار علمائنا ما كان ليبرز للوجود لولا عنايته وتهممه به . ومنها « كتاب الغصون اليانعة » الذي بين يدينا الآن . فقد قام الأستاذ الأبياري عليه خير قيام . . قدم له بمقدمة عرَّف فيها بقيمته ، وأثبت بالأدلة القاطعة نسبته لابن سعيد . وحقق نصه أتم تحقيق ، فضبطه وشرح ما فيه من الغريب ، وترجم للأعلام الواردة فيه أو أحال على مظان ترجمتها ، وألحقه بفهارس لمحتوياته من أسماء الأعلام والقبائل والأماكن والكتب والأبيات الشعرية ، فضلاً عن أسماء الشعراء المترجمين في الكتاب . وهذه هي الطريقة العلمية التي تَملو ولا يُعلى عليها في تحقيق الكتب القديمة ونشرها ، والتي لا تقل فيما تكلف من تعب ونصب عن تأليف الكتب ووضعها من الأصل ، (وما يعقلها إلا العالمون) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وصلني بكتاب « الغصون اليانعة » قديمة ، ترجع الى سنة ١٩٤٠ حين اطلعت عليه بمكتبة « الاسكوريال » ونقلت منه بعض التراجم المغربية ، وقد تذاكرت حينذاك في شأنه وشأن مؤلفه مع صديقي الأب نيمسيو موراطا المكلف بقسم المخطوطات في المكتبة المذكورة ، فأحالني على بحث نشر حوله في أحد أعداد مجلة « الأندلس » ، أثبت أنه من مؤلفات علي بن سعيد المغربي ثم بعد ذلك بنحو عشر سنين أخذت منه صورة فتوغرافية لمعهد مولاي الحسن . واهتم به بعض الأدباء في تطوان محاولاً نشره فلم يفعل شيئاً ، وكأن الأقدار إنما ادخرت فضل هذا العمل للأستاذ الابياري لأنها علمت أنه لا يستطيع أحد أن يفري فَرِيَّه في ذلك ، وزاده إخراج دار المعارف في هذه الحلة القشيبة رونقاً وجمالا .

وعلى أني طالعت هذا الكتاب في أصله ، فقد حُبِّب إليَّ أن أقرأه مرة ثانية في هذا الطبع الرائق ، خصوصاً وأن قراءة الأصل متعبة جداً ، لرداءة خطه . وأثناء مطالعتي له ، لاحظت بعض المآخذ الطفيفة ، والأغلاط الخفيفة ، منها ما يتعلق بالطبع ، ومنها ما يتعلق بالقراءة ، فأردت أن أنبه عليها في هذا المقال ، وذلك من دلائل إعجابي بالكتاب وتقديري لمحققه ، وإلا فما كنت لأتجاوبَ وهذا العملَ لو لم يكن يستحق التنويه ويتصف بالكمال أو يكاد ، عدا ما يدفع العين ويحقق بَشَرِيَّةَ من صدر عنه .

فأول ذلك ما أشار اليه المحقق الفاضل في مقدمة الكتاب ص . ك ـ من عبارة التمليك هذه التي كتبت على الورقة الأولى من المخطوط (لمحمد بن عبد الرحمن ابن الحكيم) فانه جعل هذا الاسم الأخير .. الحكم ، وهو في الأصل الحكيم .. والشخص هو الوزير ابن الحكيم رفيق ابن رُشَيد في رحلته ، والمترجَم في الإحاطة بما لا مزيد عليه من التنويه ، وهو أشهر من أن يُعَرَّف .

ثم العبارة الثانية التي تفيد أن الكتاب كان في ملك زيدان بن المنصور وهي .. (الحمد لله . تملك هذا الكتاب عبد الله المعتمد عليه المفوض أموره

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

اليه أمير المؤمنين زيدان بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أصلح الله أحواله) وقد اشتبهت على حضرة المحقق فقرأ بعد اسم زيدان .. مراكش الفهري ... ولا يخفى أن هذا الكتاب هو من جملة الكتب التي كانت لمولاي زيدان بن المنصور السعدي وأخذها القُرصان الى اسبانيا فضُمّت الى مكتبة « الاسكوريال » ويوجد على هذه الكتب كلها عبارة التملك بخط المنصور نفسه أو بخط ولده زيدان ، ولا محل في اسمَيْ المَلِكَيْن معاً للفهري لأنهما من دَوْحة الأشراف العلويين المعروفين بالسعديين .

وفي ص ٧ .. وقعت هذه العبارة :« والنهوض الى الطبقة العالية ذات الإعراب والإبداع » والإعراب هنا وإن صح أن يراد به البيان لأنه أحد معانيه ، إلا أن قصد المؤلف هو الإغراب بالغين المعجمة ، وهو كذلك في الأصل ، وربما كانت نقطة الغين سقطت عند الطبع .

وفي ص ٠ و أثناء تعليق لحضرة المحقق ما نصه .. « وثم كتاب آخر لابن سعيد ، وهو زبدة الحلب » وأظن أن هذا سبق قلم ، فزبدة الحلب هو لابن العديم المذكور تاريخه في التعليق ، جعله كالمختصر لذلك التاريخ . وعبارة « وثم كتاب آخر » ربما أشعرت بهذا السبق القلمي .

وفي ص ١٢ « اطلعته واسطة من عقد شعرائها » والصواب في عقد . وفيها أيضاً .. « ذاكرت بعض علماء بلدي في شأنه فنوه باسمه وأنشدني له » والصواب أحد علماء بلده . والخطآن يصح أن يكونا من الطبع .

وفي ص ١٣ وقع هذان البيتان :

فجر الصبا في وجنتيه غدا يموج مثل البحر الجائل
أما تراه إذ طفا ماؤه قد قذف العنبر في الساحل

والذي تعطيه قراءة الأصل أنه بحر الصبا لا فجره ، وهو المناسب لقوله يموج ولمعنى البيت التالي ، على أن هذا البحر الجائل الممثل به غير واضح المعنى ، ولا واضح اللفظ في الأصل فليحرر . وضبطت تاء أما تراه بضمة ، والصواب فتحها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي نفس الصفحة جاءت أبيات شعرية ذكر المحقق أنها من مجزوء المديد ، وهي من مجزوء الرمل ، وهذا أولها ليستدل به :

وبديع أطلع الآ س بروض الجلنار

على أن المديد لا يستعمل إلا مجزوءاً فلا يحتاج الى النص على أنه مجزوء .

وفي ص ٢٥ : يقول المؤلف في شعر لبعض من ترجمه من الأدباء .. « وهو من المحاسن التي لا يجب أن تغفل » .. فكان يجب « أن لا تغفل » ، فهذا التعبير الخطأ الذي يقع لبعض كتابنا اليوم مُزْمِنٌ ، ولا أقول قديم لئلا يُظَن صحته بالقِدَمة .

وفي ص ٣٢ والتي تليها تردد اسم الشاعر ابن بقي مضبوطاً بتشديد القاف وأظن أن هذا التشديد خطأ . لأن هذا الاسم أصله الفعل وإن قلنا انه منقول عن الصفة فحق التشديد أن يكون على الياء .

وفي صفحة ٣٨ يقول المحقق الفاضل في طريانة .. « انها بفتح فسكون : المنارة التي أمام اشبيلية على الجانب الغربي » والمعروف في ضبطها أنها بكسر الطاء ، ثم هي الجانب الغربي من مدينة اشبيلية أو الناحية الواقعة غربي النهر الكبير منها ، لا المنارة التي أمام اشبيلية ، ولعل أصل الكلمة المنازه ، أي أمكنة النزهة والفسحة ، فتصحفت في الطبع بالمنارة .

وفي ص ٤٣ : « وكان كثير الاجمال والمطايبة والمرح » والصواب : وكان كثير الاحتمال . وفيها : « ووتدٍ » بالكسر وصوابه أن يكون مرفوعاً وهو وما بعده جملة في موضع الحال . وفيها « والفندق الذي ذبح فيه ابن الياسمين » والصواب ابن خاقان وهو سبق قلم ولا شك واقع كذلك في الأصل ، وتتابع (بالياء) فيه حضرة المحقق .

وفي ص ٤٤ : فليحزن الكتاب ما قد غاله ، وتكرر هذا الشطر فيها مرتين هكذا . وصواب الكلمة الأولى فليعذر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي ص ٤٨ هذا البيت :

بدا لك النارنج وهو كأنما يريك على الأجياد درّاً منضداً

والشطر الأول غير مُتّزن كما لا يخفى ، وصوابه :

بدا لك لِلنّارنج زَهْرٌ كأنما . . .

وفي ص ٤٩ وقع ذكر العلامة أبي الحجاج بن نموي بالواو مصحفاً الى نمري بالراء في الأصل وفي التعليق . ومصدر ترجمته الذي ذكره الأستاذ المحقق نفسه قد أثبته بالواو . وفيها أيضاً قطعتان من الشعر كتب عليهما أنهما من مجزوء المديد وهما من مجزوء الرمل .

وفي ص ٥٢ . . وردت قطعة شعر أولها :

ثار شوقي الى الحمى وهوى الخُرّد الدمى

وتذكرت ما خلا من نعيم تصرما

فجاء قول الشاعر وتذكرت مصحفاً الى وتذكري ، وهو كذلك لا يتزن ولا ينسجم مع ماعطف عليه . وفي ختام هذه الأبيات يقول الشاعر :

أيها المبتلى به عِش كئيباً متيما

والذي جاء لاحياً فيه صباً ومغرما

قل له دع سبيله وانج منه مسلما

وقد ثبت البيت الوسط منها في الكتاب هكذا :

والذي جاء لاحياً فيه صار مغرما

ولا يخفى ما فيه من اختلال الوزن وقطع الارتباط بالبيت الذي بعده .

وفي صفحة ٥٥ كتب على بيتي شعر أنهما من الكامل ، وهما رجز . وهذا نصهما :

ياظبي سنجار أما ترثي لمن قدصارمن أجلك في كف الأجل

قد كان مشغولاً بدرس علمه فاليوم لاعلم بقي ولا عمل

وقد زيد في كلمة بدرس ألف فصارت بدارس وهو تصحيف فقط .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي ص ٦٢ هذا البيت :

إياك من صحبة السلطان ان لها صفواً يروق ولكن غبه كدر

وقد أثبت أوله هكذا : (أيا لمعز صحبة) وهو غير صحيح .

وفي ص ٦٩ وقع هذا البيت من شعر كُثَيِّر عزّة :

حيتكَ عزّةُ بعد الهجر وانصرفت فحي ويْحَكَ ، من حياكَ يا جَمَل

مضبوطاً بكسر الكاف من حياك وضم الجيم من جمل ، والصواب فتح الكاف خطاباً للجمل وفتح الجيم من جمل ، وهو جمل الشاعر الذي خاطبه بأبيات منها هذا . ولها قصة في كتب الأدب .

وفي ص ٧٠ قطعتان من الشعر فيها ذكر لحرفة الأديب بضم الحاء وهي فقره وغلبة الزمان له .. ولكنها ضبطت في كلتا القطعتين بكسر الحاء ، وهو خطأ يقع فيه الكثير من الناس [1] .

وفي ص ٧٧ أبيات في وصف مطر غزير عاق الشاعر عن زيارة ، منها هذا البيت :

ملأ الأرض وحولاً أصبحت وهي مِثْلُ الحِبْرِ هُلْكَ الحِبَرِ

وقد صحفت فيه كلمة هلك بهلاً فانطمس معناه . والشاعر يقصد أن هذه الوحول التي هي في لونها الحالك مثل الحِبْر أي المداد صارت هُلْكا ومَضْيعة للحِبَر أي اللباس والثياب .

وفي ص ٨٢ :

من لصب فوق فرش ضنى أبداً يبرا وينتكس

جفنه بالدمع منطلق وكراه عنه محتبس

جهل العواد موضعه فهداهم نحوه النفس

(١) وفي لسان العرب (حرف) ما يدل على جواز الضم والكسر . فالحرفة بالضم : التشديد في المعاش من قولك رجل محارف اي منقوص الحظ لا ينمو له مال ، وكذلك الحرفة بالكسر ، ويقول في موضع آخر : (ومنه قولهم حرفة الأدب بالكسر) . (لجنة المجلة)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد جاء عجز البيت الأول في الكتاب هكذا .. أبداً قَبُرُوه ينتكس [1] ، ولا يصح من جهة الوزن . ثم ان البيت الثالث ثبت في الأصل هكذا : جهل العذال ... وكذلك أثبته الأستاذ المحقق ، ولكنه غفل عن طرة جاء فيها : العواد وفوقها كلمة (بيان) إشارة الى صواب البيت الذي يحسُنُ به معناه ، إذ لا يخفى أن لا مناسبة للعذال هنا .

وفي ص ٨٣ تعليق على ترجمة أبي الحرم الماكسيني نصه : « التكملة من معجم الأدباء ونكت الهميان وبغية الوعاة » ولم نر للمحقق الفاضل تكملة زاد بها شيئاً على ما في الأصل ، بل ربما نقص ، فان في الأصل : « من مدينة ماكسين » وفي الطبع « من ماكسين » ، وأظن أنه أراد أن يحيل على مصادر ترجمة هذا الأديب فسبق القلم الى ذكر التكملة .

وفي ص ٨٧ وردت هذه الأبيات التي يمدح بها الشاعر ابنُ نوفل وزيرَ حلب ابنَ الموصلي :

وصل الموصلي كلَّ علىّ ... بكَ يا من لا نظير لهُ
لك دون المبتلى حسداً ... آخرٌ قد زان أوله
وسماح ناهض ، وله ... خلق في الناس أسفله
وكفاه أن يذوب جوىً ... كلما أصبحت مُخمِلَه
ويذوقَ الموتَ من كمد ... كلما حاذيت منزله
والورى داعٍ وملتفت ... وسؤولٌ مدَّ أنمُلَه

وقد ضبط في البيت الأول كل علا بتنوين كل وفتح عين علا ، ولا شك أن الشاعر يخاطب الممدوح ويذكر أن والده الذي اسمه الموصول ، وصل به كل عُلى ، فحق كل على النصب والإضافة الى على بضم العين . وكذلك ضبط

(١) ولعل الأقرب لرسم الأصل (يبرو) وهي لغة صحيحة ، ومنه قول بشار : (فز بصبر لعل عينك تبرو) . (لجنة المجلة)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أسفله في آخر البيت الثالث بضم اللام وهو القافية التي يجب أن تكون مفتوحة كأخواتها قبلها وبعدها . ومحله جاءت في الكتاب تحمله فعلاً مضارعاً فارتفع اللام واختلفت القافية . وحاذبت كُتِبَتْ حاذبت بالزاي وهو خطأ مطبعي ولا شك .

وفي ص ٩١ وقع ذكر الشريف أبي القاسم السبتي شارح مقصورة حازم ، في التعليق ، فجاءت نسبته البلدية هكذا : (البتي) وهو بلا شك خطأ مطبعي .

وفي ص ٩٥ هذا البيت من قطعة :

بغانا الحسود ولسنا كما يقول ولكن كما يعلم

وبغانا هذه هي في الأصل نعانا وكلاهما غير دقيق التعبير عما يريده القاضي أبو حفص بن عمر صاحب الأبيات ، وهو مَن هُو جودةَ شعر وبراعةَ نظم ، فهل تكون محرّفة عن هجانا ؟

وفي صفحة ٩٨ تبتدئ ترجمة الجراوي الشاعر المشهور ، وقد تكرر اسمه في المخطوطة بصورة الكوراي لا الكورائي كما أثبت في الطبع . وكثر الاضطراب في اسمه عند كثير ممن ترجموه . وقد بينا ذلك في ترجمته من سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، وهي الحلقة السادسة . ووقع في ترجمته هذه بعض الأغلاط منها ضبط تادلا ، بلاد الشاعر ، بفتح الدال ، والمعروف فيه الكسر ، ومنها تحديد موقع جراوة قبيلة الشاعر ، ومنها الغلط في تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، جاء فيها المفضلية وغير ذلك ونظن أن هذه الصفحة لم يصححها الأستاذ المحقق نفسه .

وفي ص ١٠٢ هذا البيت :

أنحى الزمان على الاغرار واجتهدت في قطع دابرهم أحداثه السود

والاغرار هنا صوابها الاغزاز [1] .. وبعده :

---

(١) كذا (ل ٠ م ٠)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ونازعتهم سيوف الهند أنفسهم فلم يفدهم عن الهيجاء تفريد

وصواب الكلمة الأخيرة تعريد بالعين المهملة .

وفي ص ١٠٣ هذا المطلع :

احاطت بغايات العلا والمفاخر على قدم الدنيا هلال بن عامر

وقد ضبط قدم بفتح القاف والصواب كسره . ومن هذه القصيدة أيضاً في نفس الصفحة :

وكم قد أقاموا من عروش موائل وكم قد أقالوا من جدود عواثر

وموائل هنا صوابها موائل بالهمزة .

وفي ص ١٠٦ هذا البيت :

يمت بالثلب والرقاعة والسخف وأما ما سواه فلا

وقد سقطت الباء في .. ما ، فصوابه : وأما بما سواه .

وفي ص ١٠٧ هذا البيت في الخمر :

من الماء فيها للحباب عمائم وللنور منها في الأكف ذوائب

وقد ضبط النور بفتح النون ولعل الصواب ضمها . وفيها :

قد يكرم القرد إعجاباً بخسته ..

وثبت القرد بالفاء فأوهم أنه الفرد بالفتح وهو القرد بالقاف المكسورة .

وفي ص ١١٤ :

يا تائهاً يا جاهلاً يا قاطعاً كل مقال جاء من قائل

والبيت من السريع فياء النداء في (يا) قاطعاً زائدة . وفيها هذا البيت من قطعة :

ما فيهم بعد أبي جعفر إلا إمام وارث (بغى) إمام

وبغى هنا خطأ صوابها عن ، فان الوزن والمعنى يختلان ببغى .

وفي ص ١٣٢ وقع ذكر العبيديين الفاطميين وضبط العين من هذا الاسم بالفتح والصواب الضم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي ص ١٣٣ هذا البيت :

ولم أكن أغلط في مثله لكن رمتني ثقتي بالشفيع

وصواب رمتني هذه دهتني . وفيها هذا البيت أيضاً من قطعة في القلم :

يموت فيحيا ثم يفرغ زاده فيرجع للقبر الذي فيه أتيما

وصوابه منه قيما بالقاف . ويعني الشاعر بالبيت الدواة .

وفي ص ١٤٧ ورد هذا البيت :

فأوسعه على التفسيح حمداً ويوسعني على الإحسان ذما

وأظن أن صواب قراءته على التقبيح .

وفي ص ١٥٠ من جملة أوصاف لبعض بني عبد المؤمن : «وأسفحهم يدا» وأظن أن صحة قراءتها وأسمحهم . وفي الصفحة التي بعدها هذا البيت من قطعة :

لا تحقرن صغيراً وتهملن غموضه

وقد ضبط لفظ غموضه بفتح الغين وعلق الأستاذ عليه بأن الغموضة هو الخامل الذليل ، ولم أقف على الغموضة فيما بين يدي من كتب اللغة ، وأرى أن الأولى ضم العين من هذا اللفظ على أنه الغموض مضافاً الى ضمير المتحدث عنه وهو الحقير . ولا حاجة حينئذ الى الإغراب بجعله غموضة .

هذا ما سمح لنا من التوجيهات في هذه التوافه التي كثرت عدداً وقلت حاصلاً ، ولا نبرئ أنفسنا مما يكون قد وقع لنا فيها من السهو والغلط فالانسان معدن الخطأ والنسيان .. ونتقدم الى الأستاذ المحقق بجزيل الشكر على ما أتاح لنا من التمتع بهذا الكتاب في حلة النشر الباهرة التي لا ينقص منها شيئاً وقوع مثل هذه الهفوات الصغيرة الى جانب حسنات التحقيق الكبيرة وتؤكد له مزيد احترامنا وتقديرنا .

عبد الله كنون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net